النسوية و الأدب التفاعلي

أ/ سيلت نعيمة

جامعة الجلفة

مقدمـــــــــة

لقد تمخض عن التطور التكنولوجي، تطور العديد من العلوم واستعمالها التقنيات الحديثة للتواصل ومن هذه العلوم الأدب بمختلف أنواعه وأشكاله... حيث رافق النص الأدبي تحديات العولمة، فارتقى إلى مصاف البرمجة النصية،متبوءا صدارة الإبداعات التكنونصية ، ومرتحلا من عوالمه الورقية إلى معالم الرقمية،أين تتعدد المصطلحات وتتوالد في هذا الشق الإبداعي لتختلط على القارئ، فيركن إلى استهلاك مصطلحات الوافد الجديد بعشوائية المبتدئ وتلمس الأعمى، الذي لا يميز بين الترابطية، الرقمية والتفاعلية، ويستخدمها كمصطلحات رديفة.

إن إفادة النص الأدبي من التقنيات الحاسوبية ووسائطها المتعددة "multimedia"، أسهم في تشريع بواباته نحو آفاق افتراضية ،غيرت ملمحه ونوعت خطاطته ،فاختط بها حدود التزاوج بين الإبداع والتكنولوجيا في تشكلاته الراهنة .

لقد ظللت ملامح العولمة النص الأدبي بظلالها ،فاستوقفته مغريات العوالم الافتراضية عند الحلول في مكامنها الترابطية والتفاعلية، ليستعير بعضا من مضامينها وتقنياتها الحداثية ،فظهر مايعرف بالأدب التفاعلي وهذا الأدب لم يتوقف عند جنس بعينه بل انبرت المرأة لهذا الوافد الجديد أينما انبراء إن لم نقل السباقة إليه ، ومن هذا المنطلق الأدب النسوي...اشكالية أم اثبات للوجود وأين تقف المرأة من الكتابة؟ كيف انتقلت الكتابة النسوية إلى الفضاء الرقمي ؟ الأدب التفاعلي والسرد النسائي.....(مدخل إلى الأدب التفاعلي)،(نسيان كوم)

هذ ماسوف نتاوله في هذه المداخلة تحت عنوان (النسوية والأدب التفاعلي).

الأدب النسوي ...اشكالية الوجود:

إن الاحتقان الذي سببته الكتابة النسوية أثناء انحباسها في النسيج الجنساني الأدبي، بموازاة الذّائقة المكرسة، وما خلفه الجدل الحاد من ندوب نسقية على سطوحها ،كان من أجل التخلص من آثار الارتطام والسباحة الحرة ضدّ تيارات الكتابة التي لم تتخلص من عبء الوصايا ،هذه الفصامية المشاغبة مكنتها من الصمود أمام عتي النموذج الفحولي المعتق وتشويش التناقل المغناطيسي في الذّاكرة بعد أن ابتليت بظلم فادح سلط عليها منذ قرون، بدء بالمصطلح الذي يروي قصة الغرق في اللامنتهى من جديد .

إن محاولة التقصي المعرفي في أتون مصطلح النسوية يحيل بشكل أساسي على العديد من الالتباسات التي تمشهد فيها الوأد وثقافة التهميش ،ما ورث المرأة هوية النقصان والسلبية وحملها عبء المرحلة وأسئلتها، تقول غادة السمان: "مع كل كتاب أخطّه، أموت قليلا، وبين موت وآخر، تأتي وجوههم الأليفة تأتي أصواتهم لتستجوب القتيلة، يعرفونها ولا يعرفونها، تعرفهم ولا تعرفهم، ولكنها واثقة من أمرين، أنها تنتمي إليهم، وأنها لم تعدّ موؤودة، صار لها صوتها واستعادت حنجرتها المسكونة بعشرات الإيقاعات، بما في ذلك حقها في إتهام القبيلة (المجتمع) بين موت وآخر من ميتاتها"[1].

ومع التعدّد الاصطلاحي ساد القلق والاضطراب في الجهاز المفاهيمي، بل ظهرت اشتقاقات شتى من قبيل: الأدب النسوي، الأدب النسائي، الأدب الأنثوي، أدب الحريم، أدب ربات الخدور... وغيرها من التسميات التي تستدعى

[1]- غادة السمان،(القبيلة تستجوب القتيلة)،مطبعة دار الكتب،ط1/1981.ص:05.

عندما يحضر سياق كتابة المرأة، ومن هنا غدا المصطلح أسير المناقشات والأسئلة، فهل الأدب النسوي هو ما تنتجه المرأة؟ أم هو الأدب الذي يكتبه الرجل عنها؟ وإذا كانت هناك كتابة نسوية فهل هناك كتابة ذكورية؟

أثارت الصيغ الترادفية للأدب النسوي الكثير من الجدل عند ظهورها لما اكتنف المصطلح من غموضٍ وتعميمٍ، ولعل استقراء بعض الآراء النقدية والمواقف الإبداعية يزيل اللبس الذي اعترى الصيغ الترادفية للأدب النسوي عند ظهورها لما اكتنف المصطلح من غموضٍ وتعميمٍ، فقد برز الاختلاف والتباين حول أربعة مفاهيم: النسائية والنسوية، الأنثى والمؤنث، لا تخص النقد النسوي وحده بل تطال جميع المناهج والنظريات،فالفارق بين النسوي والنسائي كما تحدّده شيرين أبو النجا "النسوي يعني إجمالا إعادة التوازن الفكري والفعلي لعلاقات القوى بين الرجل والمرأة، والنسوية توجه فكري لا علاقة له بالبيولوجي لذا تلزم التفرقة دائما بين نسوي (أي وعاء فكري ومعرفي)[1] ونسائي (أي جنس بيولوجي).

كما أن بيان هذا الاختلاف في المفردات قد يكون كافيا لجلاء القضايا النظرية في النسوية، فكلمة أنثى (Female) تشير إلى العناصر البيولوجية البحتة التي تميز النساء جنسيا عن الرجال أما كلمة أنثوي (Féminine) تستعمل للإشارة إلى ما تفرضه المبادئ الثقافية والاجتماعية من أنماط الجنس والسلوك، وهي تشير إذا إلى الثقافة بمعنى مجموعة الصفات المحدّدة ثقافيا، اجتماعيا، تاريخيا والمفروضة على النساء ككل بوصف جوهرهن الطبيعي... وكلمة نسوية (Féminisme) تشير إلى قضية سياسية تتعلق بحرية المرأة الجديدة التي بزغت أواخر الستينات من القرن العشرين.

ويستند النص النسوي على علاقته بالأنثوي في دلالات وجوده ،ومع الرؤية المعرفية والوجودية للمرأة ، وتجاوز سمات النص النسوي السابقة بتمثل الوعي الفكري والمعرفي النسوي، في حين تميز الناقدة الأمريكية "توريل موي" بين "الأنثى التي تعني كتابة المرأة دون أن يدل هذا المصطلح على طبيعة الكتابة إطلاقا والأنثوية وهي الكتابة التي تبدو وقد همشها النظام الاجتماعي اللغوي السائد والنسوية هي الكتابة التي تتخذ موقفا واضحا ضدّ الأبوية وضدّ التمييز الجنسي".

كما بينت الباحثة "فاطمة حسين العفيف" تصنيف موي السابق، حيث ذكرت أنها ستعبر بالنسائي على ما يتصل بالموقف السياسي من المرأة عامة، وستعبر بالنسوي مما يتصل بالقضايا الثقافية الخاصة بالمرأة أما الأنثوي فيتعلق بالقضايا البيولوجية الخاصة بالمرأة.[2]

وعلى سبيل الترادف يستعمل "محمد عناني" كلمتي (نسائي ونسوي) كما حدّدتها (توريل موي)(Toril.Moy) بثلاثة مصطلحات: الحركة النسائية، الحركة النسوية، والحركة الأنثوية.[3]

وقد أضاف الناقد المقارني "إدوارد سعيد" بعدا آخرا للتمييز بين الأدب النسوي والأدب الأنثوي، فهو يرى أن الأدب النسوي هو كل ما تكتبه المرأة .

منطلقه التمييز الجنسي بين الذّكر والأنثى، أما الأدب الأنثوي فهو ذلك الأدب الذي يعبر عن موقف محدّد عقائدي ينبع من التعلق بما يعتقد صاحبه أو تعتقد صاحبته بأنه سمات خاصة بالأنثى ورؤياها للعالم وموقعها فيه، وما يعنيه هذا التمييز هو أن الأدب النسوي من انتاج امرأة/أنثى تحديدا موازيا للأدب الذي يكتبه الرجل.[4]

بينما تبدي الناقدة العراقية (نازك الأعرجي) [1]رفضها لمصطلح الكتابة الأنثوية "كون الأنوثة" ما تقوم به الأنثى وما تتصف به وتنضبط إليه، فلفظة الأنثى "تستدعي على الفور وظيفتها الجنسية، وذلك لفرط ما استخدم اللفظ

[1]- شيرين أبو النجا (نسائي أم نسوي)،منشورات مكتبة الأسرة،القاهرة ط1/ص:08.

[2]- فاطمة العفيف،(لغة الشعر النسوي العربي المعاصر) عالم الكتب الحديث ط/2011،ص:17.

[3]- محمد العناني(المصطلحات العربية الحديثة)الشركة المصرية العالمية للنشر،القاهرة ط.2003،ص:180.

[4]- ادوارد سعيد(الثقافة والامبريالية) ترمة كمال أبو ديب،بيروت 1997،ص53.

لوصف الضعف والرقة والاستسلام والسلبية"،والغريب وهي تدعو إلى صياغة بديلة تحرر المصطلح من حمولته الدّلالية في مجال تداوله العام، كما يمكننا أن نكتشف الاختلاط والتداخل وضياع الحدود بين المفاهيم وهي تضع عنوان كتابها (صوت الأنثى).

وبناء على استخدامات هذا المفهوم في الثقافة والمجتمع العربيين تدعو إلى استخدام مصطلح الكتابة النسوية لأنه يقدم المرأة والإطار المحيط بها المادي والبشري والعربي والاعتباري في حالة حركة وجدل.

ويلتقي(الغذامي)[2] برأي إدوارد سعيد في أن الشعر الأنثوي ليس حكرا على النساء وانما توسله الرجل حين كتب قصيدة التفعيلة التي تعدّ كسرا لعمود الشعر المتسم بالفحولة.

حيث قسم الخطاب اللغوي الإبداعي إلى تقسيمات أربعة:

شعر ذكوري يكتبه الرجل.

شعر أنثوي تكتبه النساء.

شعر ذكوري تكتبه النساء.

شعر أنثوي يكتبه الرجل.

المرأة و الكتابة:

حين تتلاحم المرأة مع الكتابة تعانق تجربة الخلق وتمارس لذّة الاختراق، وتنافس الرجل في سلطةٍ بناها وفق مقاييسه ليغدو "الحبر الأسود سبيلاً للخروج من أسرِ الذّات"[3] ومن الصمت الذي ألزمها التعبّد، وهذا ما لا يقبله الرجل الذي سعى جاهدا إلى إبعادها عن حقل الكتابة لزمنٍ طويل، فنظر للمرأة على أنها لا تكتب وإذا كتبت فإنها ترتكب خطيئةً أو أن الكتابة تتنافى مع أنوثتها (الصمت، الخضوع، اللاحركة...) فهي بذلك "تلغى في مجال الكتابة، لأن التاريخ الذّكوري يزرع فيها القناعة بضعفها رغم قدرتها على الابتكار...، من هنا تبدأ المرأة بالابتعاد عن مجال الإبداع والكتابة لأنها تشعر بخوفٍ لا مثيل له من هذا العالم السحري المرتب من طرف الرجل، إنه نظام موضوع ومؤطّر حسب استراتيجية ذكورية معلومة"[4]. الأمر الذي جعل كتابتها موضع نزاعٍ ،بين رغبتها القوية في الكتابة وبين المجتمع الذّكوري الذي يبدي عداء صريحا أو سخريةً لاذعةً أو يكتفي بعدم تقديرها، تصرح (هيلين سيكسو) قائلة: "الكل في تحالف ضدّي لمنعي من الكتابة، التاريخ، تاريخي، أصلي، جنسي،... بأي حقّ؟ أرينا رسائلك وإبداعك، قولي لنا كلمات السر، وقعي نفسك،....[5]

ما يوضح سبب رفض الأديبات نعتهن بالكاتبات أو تصنيف أدبهن ضمن الأدب النسوي، لشعورهن بالنقص أمام كتابات الرجل "ولهذا فإنها تتعلم الكتابة من أجل المكاتبة، ومصطلح المكاتبة يتضمن الغدر والخيانة والفحش، ويعني استخدام الثقافة من أجل إقامة جسور العشق وتسهيل سبيل الخيانة وتوريط الحبيب في علاقة مغشوشة هدفها الابتزاز والاتجار بالجسد"[6].

---

[1]- ينظر نازك الأعرجي(صوت الأنثى)،دار الأهالي ،ص31.

[2]- عبد الله الغذامي(المرأة واللغة)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،ص:16.

[3]- صلاح صالح ،(سرد الآخر،الأنا والآخر عبر اللغة السردية) ،المركز الثقافي العربي،بيروت ط2003/1.ص:184.

[4]- محمد الدين أفاية (الهوية و الاختلاف في المرأة والكتابة والهامش)،الدار البيضاء المغرب ط1988/1.ص:33.

[5]- نعيمة هدى المديغري(النقد النسوي حوار الفكر في الأدب والمساواة)دار المغرب،ط 2009،ص:102.

[6]- عبد الله الغذامي (اللغة والفكر)،ص:102.

لكن الكتابة لم تكن لتملأها لذّة فقط، فهي تمارسها بألمٍ عميقٍ لأنها تكتب بدمها عن صرخاتها المكتومة "هي أقوى لأنها تمارس علاجا يقمع الاندفاعات السلبية التدميرية عن طريق التسامي والتصعيد وتصريف المكبوتات والمشاكل الاستبطانية إلى نصوص إبداعية تفرغ شحنات انفعالية"[1].

الأكيد أن رحلة الكتابة شاقة، فبعضهن يكتبن وهن ينظرن إلى الآخر والعالم عبر منظار ذكوري وأخريات يعتبرنها ترفا فكريا، وكثيرات يرينها فعل تحرر "فالكتابة ليست فقط اللعبة والمتعة، ولكنها كذلك اللغة التي من خلالها تعطي المرأة لكتاباتها معنى اختيار الحرية وتحملا نقديا.

وهاته الكتابة لم تقتصر على النمط التقليدي فقط بل ولجت المرأة عالم العولمة بكل بقوة تحت ما يعرف بالأدب التفاعلي .

وتجربة النص الرقمي على اللوح الإلكتروني هي تجربة متفردة لذلك وجب الوعي التام بالوسائط السمعية البصرية وكذا البرامجية، وهاته التجربة لم تكن محل اهتمام الرجل فحسب بل كان هناك وجود للمرأة إن لم نقل السباقة لهذا النوع من الأدب (الأدب التفاعلي) محاولة اثبات هويتها وطموحاتها في مجال الكتابة والنقد على حد سواء وخير دليل على ذلك شهادة (عبد الله محمد الغذامي) للدكتورة (فاطمة البريكي) في كتابها (مدخل إلى الأدب التفاعلي) معلنا فرحته بأثرها في المجال النقدي لهذا الأدب المستحدث وكذا إعجابه برواية (بنات الرياض)،(لرجاء الصانع) ،فكلتاهما تعبتران مدخلا إلى الأدب التفاعلي وهو مدخل له خصوصية ثقافية ابداعية تسلمت قيادتها الأنوثة المبتكرة المفكرة الساحرة ذات الطاقة الرؤياوية الفياضة.

انتقال الكتابة النسوية إلى العالم الرقمي:

نتحدث دائما عن أزمة القراءة في العالم العربي وفي هذا الصدد ترى زهور كرام أن الموضوع أصبح مملا، لأن الشيء عندما يتم استهلاكه بنفس السؤال، مع نفس الصيغة في مراحل مختلفة، فإن ذلك يعبر عن أزمة كبرى، والقراءة جزء بسيط منها. الآن نعيش الزمن التكنولوجي الذي يختلف من حيث طبيعته، ونظامه عن الزمن الصناعي. تتيح الثقافة التكنولوجية لمستعملها إمكانية التعلم-الذاتي، وفي نفس الوقت تلزمه حسب إمكانياتها بضرورة التفاعل، والتفاعل هنا يأخذ طبيعة القراءة المُرافقة للمادة المنشورة. لهذا فالثقافة الرقمية اليوم، قد تُعيد صياغة سؤال القراءة من هل يقرأ الفرد العربي؟، إلى كيف يقرأ. لأن القراءة لم تعد اختيارا كما هو الشأن مع الوسيط الورقي، كما لم تعد مرتبطة بمسافة مع المادة، بقدر ما أصبحت القراءة فعلا مُلازما للممارسة التكنولوجية التي أصبحت – بدورها- سلوكا يوميا .طبيعة نظام الثقافة الرقمية التي تعتمد الرابط ، وتحفز على التفاعل، وتضع المستعمل أمام خيارات عديدة، تجعل القراءة واجبا تكنولوجيا، وفعلا طبيعيا .ولهذا يمكن للثقافة الرقمية أن تُساهم في تجاوز أزمة القراءة والكتابة،كما تحررنا من طبيعة القراءة المألوفة، لأنها تُدربنا على التفاعل.

الأدب التفاعلي والسرد النسائي.....(مدخل إلى الأدب التفاعلي)،(نسيان كوم) :

أحلام مستغانمي (نسيان كوم):

قامت المبدعة الجزائرية أحلام مستغانمي بإنشاء مساحة أو فضاء تفاعلي للتواصل مع قرائها مستخدمة هذه المرة تقنية الوسائط الالكترونية،كالقرص المرفق بكتابها والمعنون بـ" أيها النسيان هبني قبلتك "وهو عبارة عن قرص سمعي يتضمن بعض من أشعار الأديبة المغناة من طرف الفنانة " جاهدة وهبي "هذه الأشعار المغناة تعد بمثابة مسكنات نفسية للنساء اللواتي أصبح النسيان بالنسبة إليهن شر لابد منه،نسيان يجعل الأنوثة في مهب رياح عاتية تتقاذفها يمنا وشمالا،وليست سوى الذكورة تنتظرها في مقدمة الدرب الذي ستجتازه .وتدعيما لمشروعها هذا أي جعل المتلقين

[1]- وفاء مليح (أنا المبدعة ...أنا الأنثى)،دار الأمان ،الرباط .المغرب،ط/2009،ص:62.

ضمن دائرة اهتمامها قامت بإنشاء موقع الكتروني حمل أيضا اسم " نسيان " COM تدعو من خلاله القراء إلى الانضمام والتواصل معها عبره،وذلك من أجل طرح أفكارهم والمشاركة في عملية الإبداع.

وبما أن هذه التقنية المستحدثة في الكتابة،هي تقنية تم ابتكارها من طرف الغرب في أواخر القرن المنصرم.لا نكون مبالغين إذا اعتبارنا المبدعة أحلام مستغانمي من بين الكتاب الطلائعين الأوائل على الأقل في عالمنا العربي،الذين عملوا على خلق فضاء تفاعلي عبر وسائط الكترونية يمكنها استيعاب آراء وأفكار وحاجات القراء.

فاطمة البريكي (المرأة وعالم التكنولوجيا):

باحثة عربية شابة ترافق أسمها مع إشكالية علاقة الأدب بالتكنولوجيا العصرية المتمثلة بالحاسوب والانترنت والوسائط المعاصرة في نقل المعارف والمعلومات والاتصال والتواصل ، أصدرت كتابها الأول (مدخل إلى الأدب التفاعلي) عن المركز الثقافي العربي، 2006 وتبعته بكتاب (الكتابة والتكنولوجيا) تصدت فيه بريادة مقتدرة إلى الدخول في عالم الوسائل الحديثة للكتابة والتفاعل الثقافي في الواقع العالمي الجديد الذي استحدث تصنيفاً جديداً للكتابة ليست الأجناس الأدبية في الحداثة ولا النص المفتوح في ما بعد الحداثة وإنما أصبح التصنيف العالمي اليوم : الكتابة الورقية والكتابة الالكترونية أو الرقمية التفاعلية، ومعنى إن تبادرت إليها (امرأة) ناقدة وأكاديمية عربية محجبة فهذا له أكثر من دلالة.. وكم هو رائع كلام (د. الغذامي) وهو يقدم لكتاب البريكي ، حين أعلن فرحته بكتابين لهما أثر كبير أحدهما كتاب د. فاطمة البريكي والثاني رواية رجاء الصانع (بنات الرياض) كلاهما منتج نسوي أحدث جدلاً واسعاً لأنهما مسّا ثقافة النسق بجرأة واقتدار .. فقال يقدم لكتاب البريكي : (إن الغلطة الثقافية الكبرى التي اقترفتها المرأة ضد جنسها حينما تركت الكتابة للرجل واستغنت بالحكي على مدى قرون وصارت تتدارك تلك الغلطة، ولم تعد تتهاون في أمور الثقافة بتركها للرجل وهذا الكتاب سيكون واحداً من هذه العلامات في التغيير الذهني الثقافي..) [1]حيث أصبح كتاب الدكتورة فاطمة البريكي مدخلاً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة الأدب والتكنولوجيا وتقنيات الشعر المتفرع والأدب الرقمي والتفاعلي واهم تجاربه في العالم وعند العرب وعلى صعيد أجناس الشعر والرواية والمسرحية وغيرها وبحث كيفيات الإفادة من إمكانيات الوسائط الالكترونية وبرمجياتها المتعددة في الكتابة والتأليف على شاشة الحاسوب أو على صفحة الويب علماً أن هناك حركة ثقافية عربية في هذا الجديد أسهم فيها كتاب وأدباء لهم حضورهم الإبداعي والشعري والنقدي والثقافي مثل: محمد سناجلة ومحمد أسليم وسعيد يقطين واخرون فضلا عن الأدباء والنقاد والأكاديميين العراقيين مثل د.مشتاق عباس معن ود.ثائر العذاري وناظم السعود ود.امجد التميمي ونخبة طيبة وأسماء متميزة من الأكاديميين الشباب والمثقفين، برغم ذلك وتلك الجهود برز كتاب فاطمة البريكي مرجعاً مهماً وهو أول انجاز ثقافي تشتغله بعد الدكتوراه وصار مادة الدرس الأكاديمي في جامعات عربية مثل الإمارات وقطر و المغرب والسعودية وفلسطين وغيرها.

خاتمـــــــــــة:

أدرك البحث منتهاه وغايته، بإصابة لفيف من الانشغالات الراهنة الإبداعية و النقدية بنطاقات الأدب الرقمي وفعل العولمة،حيث تعين للنص الأدبي معالم وآفاق غيرت ملامحه وقرنته بالتكنولوجيات الحديثة، فاستحال " نصا إلكترونيا " بمقتضى حامله الجديد(الوسيط الإلكتروني)،بعد أن أعرض عن حوامله التقليدية المعهودة آنفا؛ كالنقش على الحجر،والتدوين على الرقع ،والكتابة على الورق .

وتجربة النص الرقمي على اللوح الإلكتروني هي تجربة متفردة لذلك وجب الوعي التام بالوسائط السمعية البصرية وكذا البرامجية، وهاته التجربة لم تكن محل اهتمام الرجل فحسب بل كان هناك وجود للمرأة إن لم نقل السباقة لهذا النوع من الأدب (الأدب التفاعلي) محاولة اثبات هويتها وطموحاتها في مجال الكتابة والنقد على حد سواء وخير

[1]- فاطمة البريكي (مدخل الى الأدب التفاعلي)،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،ط2006/1المغرب،ص:09.م

دليل على ذلك شهادة عبد الله محمد الغذامي للدكتورة فاطمة البريكي في كتابها (مدخل إلى الأدب التفاعلي) معلنا فرحته بأثرها في المجال النقدي لهذا الأدب المستحدث وكذا إعجابه برواية (بنات الرياض) لرجاء الصانع ،فكلتاهما تعبتران مدخلا إلى الأدب التفاعلي وهو مدخل له خصوصية ثقافية ابداعية تسلمت قيادتها الأنوثة المبتكرة المفكرة الساحرة ذات الطاقة الرؤياوية الفياضة.